مدخل إلى الخطاب السردي

يمثل "الخطاب"– منذ بداية تداوله في الستينات من القرن العشرين و إلى حدّ الآن– سؤالا ذا طابع إشكالي في النقد الأدبي الحديث والمعاصر،حيث تعدّدت في شأنه التصورات النظرية و المقاربات الإجرائية فتراكمت تبعا لذلك الدلالات التي يفيدها، خاصّة بعد أن شاع استعماله في أكثر من مجال، بسبب أنّه "يمتلك خاصّية موقعه في نقطة اللقاء بين اللسانيات و العلوم الإنسانية". فكان أن استقطب عديد المجالات و التخصّصات التي شكّلت العلامات الدّالة على سيرورته المفهومية، و منها المجال الأدبي.

فقد شكّل الخطاب الأدبي (Discours littéraire) موضوع "الأدبية(La littéralité) "، التي تتجلّى عند رومان جاكوبسون–(Roman Jakobson)أحد أعلام الشعرية La) – (poétique، في جملة الخصائص النوعية التي تميّز العمل الأدبي عن غيره من النصوص غير الأدبية، و التي نصّت عليها النظرية السيمائية للأدب مثلما بلور مقوّماتها الشكلانيون الروس.

و هي–أي الأدبية– لدى جيرار جينيت" :(Gérard Genette) النظرية العامة للأشكال الأدبية". و تفيد تلك الأشكال في تصوّره مجموع الخصائص النوعية التي تكسب العمل الأدبي التفرّد و الخصوصية، و لا يمكن البحث عنها و إدراكها إلاّ من خلال الخطاب. و هو ما يفصح عنه تزيفتان تودوروف (Tzevetan Todorov) في قوله : "ليس العمل الأدبي في ذاته هو موضوع الشعرية، إنّ ما تبحث عنه الشعرية هو خصائص هذا الخطاب الذي هو الخطاب الأدبي" .

و قد دعا تزيفتان تودوروف –(T. Todorov) في ذات السياق– إلى ضرورة إدخال مفهوم الخطاب ضمن تحديد الأدب مفهوميا، و من ثم إلى استعمال مصطلح الخطاب بدل الأدب أو العمل الأدبي " وذلك لاعتبارات عديدة من بينها أن هناك علاقات بين الخطابات

سواء كانت أدبية أو غير أدبية، و يتجلّى الخطاب عنصرا مهّما من العناصر السردية التي عليها العمل الروائي – في "الطريقة التي تقدّم بها المادّة الحكائية في الرواية. قد تكون المادة الحكائية واحدة، لكن ما يتغير هو الخطاب في محاولته كتابتها و نظمها ".

فالخطاب السردي يقوم أساسا على الحكي (Récit) الذي يتحدّد كتجلّ خطابي، سواء كان هذا الخطاب يوظف اللغة أو غيرها..." .

ثمّ إنّ بنية الخطاب السردي تفيد – في الأصل– المبنى الحكائي الذي قابل توما شفسكي (Tomaschofski) بينه و بين المتن الحكائي في سياق تعريفه للعمل الحكائي. و هو ما استثمره تزيفتان تودوروف، ليبيّن أن كلّ حكي ينبني على مكونين أساسيين هما القصّة

(Histoire) و الخطاب(Discours) ، و يؤكّد – في ذات السياق – على تلازمهما و تكاملهما في آن، و ذلك "لما بينهما من صلات تتحدّد بواسطتها العلامة الحكائية" .